شيء ما .. كالومضة !

... ما زلت احدق في الكوه ...
وافكر في هذي الدنيا ـ
دنيانا الواسعة الحلوه
ويخالجني فرح الاموات
فرح الاموات لصوت الصور
فرح العميان للون النسور ..
فرح لا يخضع للكلمات ...
اذ ادرك معنى ان احيا ..
مشدودا في رحم الدنيا ..
يتوقعني قدري ..
وينادينى ظفري ..
وتلوح جميع امانيا ..
تتدلى من قلب الكوه ..
فوقي ... لا ابعد من خطوه ..
وامد يدي ..
فاكاد .. اكاد .. اكاد
لولا ان يوقظني الجلاد ..
... ويخالجني غضب وحشي
غضب يهتز له نعشي ...
غضب قهار ...
غضب لا يخضع للافكار ...
واصيخ ، فاسمع صوت الريح
كالويل تولول في روحي ...
لا شيء اذن ؟
فالكوة وهم ! .
والدنيا حلم !
فعلام ابحث عن نفسي ؟
عبثا ..
عبثا ارفع تابوتي للشمس
عبثا ابحث في المعنى ... في الكلمات
شيء ما ... شيء كالومضة مات ..
واصيخ ، فاسمع صوت نواح !
فاصيح : الا ... لا تبكوني ..
اني ما زلت هنا احيا ...
ما زلت افكر في الدنيا ...
ما زال العالم يدعوني ...
لن يطفأ في روحي المصباح ...
لن تغلق في قبري الكوه ...
اني ما زلت هنا اقوى ..
ما زلت افكر في الدنيا ـ
دنيانا الواسعة الحلوه ...
وافيق على صوت السجان
يتردد مقرورا سأمان ..
... لم يبق لدي سوى سجني ..
وصدى يتردد في اذني
فاحاول : ادنيه مني
أيأس : ابعده عني ..
عبثا ...
عبثا ... اخضعه للكلمات
فالماضي ... شيء مات ..
... واحس كأن هموم العصر ..
تتجمع .. ترسف في قبري ..
تتحرك في غضب وحشي ...
وتشير الى خشب النعش ...
ماذا اصنع من نعشي ؟ زورق ؟ ...
وهما .. قد يطفو .. او يغرق ؟ .
حلما .. قد يقلع .. او يرسي ؟ .
عبثا .. عبثا ابحث عن نفسي !!
... وتمر خلالي الاعوام ..
واظل احدق في الكوه ..
واظل احدق ..
واكاد .. اكاد اصدق ..
ان الدنيا ـ
دنيانا الواسعة الحلوه
تتململ مثلي ... تتلوى ..
تتنفس من هذي الكوه ..
ويح الانسان !!
يحيا ... ترصده القضبان ...
ابدا .. يتحدى ... يتمرد ...
ويصارعه القدر الاسود
ويلاحقه وجه السجان ..
... واصيخ، فاسمع اطلاق النار..
يدوي في الارض ...
فيا للعار !! ...
والسجن يفص حوالي ..
وتضيق بقتلاها الدنيا ..
ويسيل دم الانسان ...
يجري في كل مكان ..
قتلى .. قتلى .. قتلى ..
واصيح بهم .. كلا ! ...
« يا رب .. السجن اجب الي !! »

●

... لم يبق لدي سوى سجني
وبقايا شوق للدنيا ...
وملامح تغريني أن احيا ..
« كانت عيناك على روحي ...
تنمو ... تتندى .. تتزنبق ...
ابدا .. لا تطفو .. لا تغرق ... »
... لم يبق سوى عينيك بباب السور ..
تدعوني ... تتمنى ... تتشوق ..
تتفرس في وجه الليل الازرق ...
وتراقب لي خيط النور ...
وتراقبني ...
وتشجعني ...
وتريني بعضا من امسي ...
فاصيح : « اعيدوا لي نفسي ...
لا يمكن ان احيا في الظلمات ! »
وتموت على شفتي الكلمات !!

يوسف الصائغ